قصص الرشيد



ليلة في ضفاف دجلة

تصدرها نهضة مصر بالفجالة

قصص الرشيد

— ١٠ —

ليلة في ضفاف دجلة

بقلم

ابراهيم عزوز

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة نهضة مصر ومطبعتها

الفجالة - مصر

مطبعة نهضة مصر

هارون الرشيد خامس خلفاء الدولة العباسية . وقد كان عصره أزهى عصور المسلمين فى بغـداد . فبلغت الدولة الإسلامية فى أيامه قمة مجدها . حتى تزلف إليها أكبر ملوك أوربا . وخطبوا وُدّها ورضاها .

وجدير بأبناء العرب فى كل مكان أن يقرءوا تاريخ هـذا العصر الذهبى ؛ ويقفوا على سر عظمة أجدادهم . ليستمدوا القدوة الصالحة ، والعبرة النافعة .

وإنى إذ أقدم للناشئة هـذه القصص ، التى تصور هذا العصر تصويراً ، فى بعضه الصدق التاريخى ، وفى بعضه الخيال الأدبى — لأرجو أن ينفع الله بها أبناءنا ، وأن تحفز هممهم لدرس هذا التاريخ المجيد .

والله الموفق　　　　　　　　المؤلف

أقبلَ الليلُ على الرشيدِ فى قَصْرِهِ بمدينةِ بغدادَ الجميلةِ التى بناها جدُّهُ المنصورُ على شواطىءِ دجلة فدعا وزيرَه جعفرًا وقال له :

— إنّى يا جعفرُ ضيِّقُ الصدرِ اليوم ، من طولِ جلوسِى فى القصرِ ، وأريدُ أن نخرجَ إلى شوارعِ بغدادَ لنَتَسَلَّى ونتفرَّجَ ، ونعلَمَ أخبارَ السكانِ والناس .

فقالَ جعفرُ :

— حسنٌ يا أميرَ المؤمنينَ ! فإن الخليفةَ الساهرَ على شئونِ رعيتِه وصالحِ شعبِه يجبُ عليه أن يخرجَ فى الليلِ بين وقتٍ وآخرَ ؛ ليعرفَ الأخبار ، ويكشفَ الأحوالُ .

وقد سبَقكَ الخليفةُ العادلُ عمرُ بنُ الخطابِ رضى اللهُ عنه ، فكان يخرجُ كلَّ ليلةٍ يَعُسُّ فى شوارعِ المدينةِ .

وكان يسمعُ من كلامِ الناسِ ، ويشاهدُ من أحوالهم ، ما يجعلهُ فى الصباحِ ، يغيّر أحكامَه ، ويعدِّلُ قوانينَه ، ويخلعُ بعضَ الولاةِ ويولّى غيرهم .

وأنت يا أميرَ المؤمنينَ إذا اقتديتَ به فى هذا ، رأيتَ — ولا شكّ — كثيراً من الأُمورِ العجيبةِ ، وأصلحتَ كثيرًا مِن شئونِ الرعيةِ .

فاقتنعَ الرشيد برأىِ جعفر وقالَ له :

— إنك يا جعفرُ زِدْتَنى رغبةً فى الخروجِ . فهيَّا بنا نخرجُ من ساعتِنا ، ونأخُذ معنا مسرورًا السيافَ .

فقالَ جعفرٌ :

— لا . . لا يا أميرَ المؤمنين . . . لا نخرج فى هيئتِنا وملابِسنا هذه ؛ لأنَّ الناسَ إذا عرفونا أخفَوْا حقائقَهم علينا ، وستروا أنفسَهم أمامَنا .

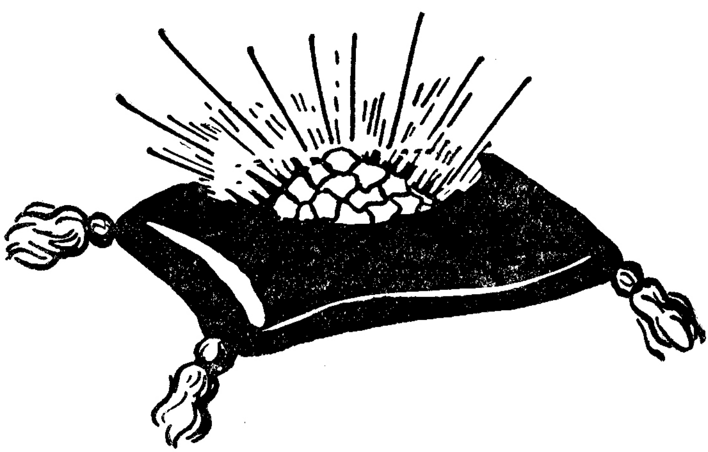
ولكنْ نغيّرُ ملابسَنا ، ونتنكَّرُ فى هيئةِ تجارٍ

غرباء . ونأخُذ معنا مسرورًا متنكرًا كذلك ، ويخفى سلاحَه تحتَ ثيابِه .

فقالَ الرشيدُ :

— أحسنتَ وأصبتَ فى رأيِكَ يا جعفرُ .

وقامَ الثلاثةُ وغيَّرُوا ملابسَهم ، ولبِسُوا ملابسَ تجارٍ من بلادِ المغربِ ، ونزلُوا إلى شوارعِ بغدادَ .



وصاروا يمشون من شارعٍ إلى شارعٍ ، وينتقلونْ من حارةٍ إلى حارةٍ ، حتى وصلُوا إلى شاطىء دجلَة .

وكانت الليلةُ ساكنةً ، والرياحُ طيفةً ، ونسماتُ الهواءِ تقبلُ عليهم من فوقِ دجلة ، ناعمةً باردةً منعشة . فارتاحَ الرشيدُ وانتعشَ ، ورغبَ فى إطالةِ الوقوفِ هناك .

وبينما هم واقفون ، رأَوْا مَلاَّحًا من الملاحين الذين يخصّصُون زوارقَهم الصغيرةَ لنزهةِ المتنزهين فى دجلة ليلاً .

فناداه الرشيدُ وقال له :

— أيها الملاح ، هل يمكننا أن نركبَ زورقَك الجميلَ ، ونتنزه به فى النهرِ ساعةَ ، ولك دينارٌ كاملٌ ؟ !

فنظر إليهم الملاحُ وهو يتألمُ وقال :

— يا ليتَنى يا سيِّدى أقدَرُ . . . إنه قطعَ أَرزاقَنا وحرّم علينا المكاسبَ . حتى خلتْ بيوتُنا من لقمةِ العيشِ للعيالِ .

فنظر الرشيدُ إلى جعفر وغمز بعينِهِ وهزّ رأسَه . ثم التفتَ إلى الملاحِ وقال له :

— لماذا لا تقدرُ؟ ومن هو الذى قطعَ أرزاقكم ؟

فأجابَ الملاحُ مستغرباً مدهوشاً :

— وكيفَ أَسيرُ بزورقى الآنَ ، والخليفةُ هارونُ الرشيدُ ، بعد قليلٍ سيمر فى النهرِ بحرّاقَته الخاصةِ من هنا ، وسيقطع رقبةَ كلِّ إنسانٍ يراه فى طريقِه ؟! ألم تسمعوا مناديَه فى كلِّ ليلةٍ وهو ينادِى ويقولُ :

— يا ناسُ جميعًا : صغارًا وكبارًا ، رجالا ونساء ، فقراء وأغنياء ، شعباً وأمراء ، من وقف منكم فى طريقِ أميرِ المؤمنينَ ، أو زاحمَ حَرّاقَتَه فى النهرِ ، أو حاولَ النظر إليه من بعيدٍ ، أَمرَ بضربِ عنقِه ، وصلبِ جثتِه .



فكيف تطلبون منى هذا الطلب ؟

فكيف تطلبون منّى هذا الطلبَ ؟ أغرباء أنتم عن هذهِ المدينةِ ؟ !

فنظر جعفرٌ إلى الرشيدِ ، ونظر الرشيدُ إلى جعفر ، وظهر العجبُ فى وجه كلِّ واحدٍ منهما واشتدتْ رغبتهما فى معرفةِ هذا السرِّ . وقال جعفرٌ للملاحِ :

— نعم يا أخى نحنُ غرباء ، ولسنا من بلدِك هذا . ولم ندخلْ بغدادَ إلا صباحَ اليومِ ، وقد شغلتْنَا تجارتُنا عن معرفةِ بغدادَ وعاداتِها . ونرجو أن تلبىَ رغبتَنا ، وتحققَ أملَنا ، وتسمحَ لنا بركوبِ زورقك فترةً قصيرةً . وإذا رأينا حَرَّاقَةَ أميرِ المؤمنينَ أسرعنا فاختفينا تحت شجرةٍ من هذه الأشجارِ الكثيفةِ التى على الشاطىءِ .

وأخرجَ من جيبِه دينارين ودسَّهما فى يدهِ . ففرِحَ الملاحُ بالذهبِ ، وأذن لهما بالركوبِ .

وركبَ الثلاثةُ : هارونُ الرشيدُ ، وجعفرٌ ، ومسرورٌ ومعهم الملاحُ . وساروا فى دجلَة بالقربِ من شاطئه وأشجارِه ، حتى لا تفاجِئَهم الحراقةُ .

وساروا قليلاً فى النهرِ ، وإذا بهم يرَوْن نورًا شديدًا من بعيدٍ ، ومركباً سريعاً يسبح فوقَ الماء ؛ فصاح الملاحُ وقال :

— الحراقةَ . . . الحراقةَ !! قد أقبل الرشيدُ !! الويلُ لنا والهلاكُ ، إذا وقعَ نظرُه علينا .

فأمسك جعفرٌ ومسرورٌ المقاذيفَ مع الملاحِ ، وأدار الملاحُ الدفةَ إلى جانبٍ من الشاطىء ، وصارُوا يُقَذِّفُونَ بهمةٍ ونشاطٍ ، حتى اختفى زورقُهم وراءَ شجرةٍ كبيرةٍ ، بحيثَ لا يمكنُ أحدًا أن يراه أو يلحظَه .

وما كادوا يستقرون فى مخبئهم حتى اقبلت حراقةُ أميرِ المؤمنينَ ، وهى سفينةٌ كبيرةٌ من خشب السَّاجِ المُذهَبِ ، وفى كل جانب منها مائةُ نُوتىٍّ يقَذِفُون بمقاذيفِهم . وفى وسطها كرسىٌّ من الذهبِ الوهاج كأنه قطعةٌ من الشمسِ ، وقد جلس عليه شابٌّ جميلٌ ، تنكرَ فى ملابِس الخليفةِ هارون الرشيدِ ، ووضعَ فوق رأسِه عمامةً مثلَ عمامتِه ، وصنع لنفسِه لحيةً مثل لحيتِه تماماً .

وقد جلسَ على يمينِه شابٌّ آخرُ فى ملابِس الوزيرِ جعفرٍ وهيئتِه . ووقف وراء الخليفة المتنكرِ شابٌّ ثالثٌ طويلُ الجسمِ ، مفتولُ العضلِ ، فى هيئة مسرورِ السيَّافِ .

وعلى جانبى هذا الخليفةِ ، ومن ورائِه وأمامِه الغلمانُ يحملون الشموعَ ، وهم فى ملابِس الحرير المزركشةِ . وفى مُقَدِّمِ السفينة وفى مؤخَّرِها ، وقف غلامان يحملان مِشعَلَيْنِ كبيرين ، ترتفعُ شعلتاهما إلى مسافةٍ بعيدةٍ فى السماءِ ، وتفوحُ منهما رائحةُ العنبرِ والعودِ .

وحاملُ المشعلِ الذى فى المقدمةِ يصيحُ ويقولُ :

– يا ناسُ جميعًا : صغارًا وكبارًا ، رجالاً ونساء ، أغنياء وفقراء ، شعبًا وأمراء ، من وقف منكم فى طريقِ أَميرِ المؤمنين ، أو زاحم حراقته فى النهرِ ، أو حاول النظرَ إليه من بعيدٍ ، أمرَ بضربِ عنقِه ، وَصلبِ جثتِه . وَمَنْ لاَ يصدِّق يجرِّبْ .

فلما سمع الرشيدُ ذلك ، ورأى ما رأى ، نظر إلى جعفرٍ وتعجَّب ، وقال له بصوتٍ منخفضٍ جداً :

– ما هـذا يا جعفرُ ؟ أنائمون نحنُ أم مُتَيَقِّظُون ؟ وكيف يحدثُ هذا فى عاصمةِ ملكى وخلافتى وأنا لا أعرِفُه ؟ ومن هو الذى يجترِىء علَىَّ وَيَتَشَبَّهُ بى فى كلِّ شىء ؟ ! إنى أخشى أن يكونَ أحـدُ أولادى قد لذَّ له اللهوُ ، وطاب له العَبَثُ فصنع هذا ؟ !

فأجابه جعفرٌ هامِسًا :

– تمهَّلْ يا مولاى واصبر ، لأننا أمامَ حكايةٍ غريبةٍ

أشدَّ الغرابةِ ، ولا بد أن نكشف حقيقتها ، ونعرفَ أسبابَها وأبطالَها . . . ألم أقل لك يا أميرَ المؤمنينَ إن خروجنا متنكرينَ فى الليل ، سيكونُ سبباً لمعرفةِ كلِّ شىء فى الدولة ؟ !

فتنفَّسَ الرشيدُ نفسًا طويلاً عميقًا ، وقال :

— رحمَ اللهُ عمرَ بنَ الخطابِ ، فقد كانَ أحسنَ الخلفاء سياسةً ، وأكثرهم حزمًا ومعرفةً ! !

وبينما هما يتحدثان ، غابتِ الحراقةُ عن أعينِهما ، واختفتْ أنوارُها وأضواؤُها ، وسكنت حركتُها .

فقال الرشيد للملاحِ :

— يا شيخُ ، وهل هذا الخليفة يتنزه فى دجلة كلَّ ليلةٍ ؟ !

فأجاب الملاحَ :

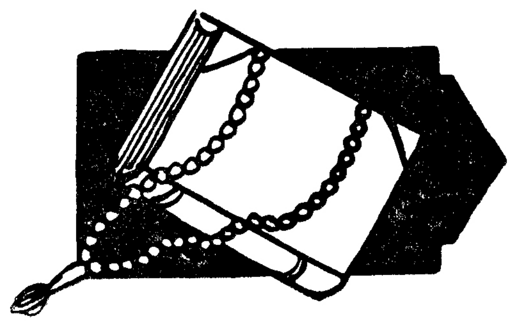
— نعم يا سيدى . وله عام كاملٌ على هذه الحالِ .

فقال له الرشيد :

— لقد أعجبنا كثيرًا منظرُ الخليفةِ فى حرّاقتِه ، وإنا نرجوك يا شيخَ الملاحين ، أَن تنتظرَنا غدًا هنا ، لنمتع أنفسَنا بمشاهدةِ الخليفة ، ولك علينا خمسةُ دنانيرَ .

وخرجوا من الزورقِ ، وعادوا إلى قصرِ الخلافةِ .

وفى الصباحِ جلس الرشيدُ للحكمِ وتصرِيف الأمورِ . وجلس على يمينه وزيرُه جعفرٌ ، ومن خلفِه مسرور السيافُ . وكلما تذكرَ الرشيدُ ما حدث فى الليلةِ السابقة فكر وابتسم ، فابتسم جعفرٌ .



ولمـا جاء الليلُ ، قال الرشيدُ لجعفرٍ :

— هيَّا بنا يا جعفرُ إلى الميعادِ . . . إلى ضفافِ دجلةَ . . . إلى الخليفةِ اللطيفِ هارونَ الرشـــيدِ ووزيرهِ جعفرٍ .

وقبل أن يجيبَه جعفرٌ قال :

— عرضت لى فكرةٌ يا جعفر . . . إننى سمعت الناسَ يقولون : إن بعضَ الجنِّ يسخرون من الناسِ أحياناً ، فيظهرون فى صورِهم وأشكالِهم ، ويتشبهون بهم . يعملون هذا ليتسلَوْا بالناسِ ، ويعرّفوهم أنَّ الإنسانَ ـ مهما عظم أمرُه ـ ضعيفٌ بالنسبةِ إليهم . فهل الشابُّ الذى رأيناه فى الليلةِ المـاضيةِ جنىٌّ خبيثٌ ، رأى غرورَنا بقوتِنا وملكِنا ، فأراد أن يسخرَ منا ، ويبين لنا أنه يستطيعُ

أن يكونَ ملكاً أَقوى منا وأَعظمَ ؟ ! إننى لا أُصدقَ أنه إنسانٌ حقيقىٌّ ؛ لأنه يشبهُ فى كلِّ شىء . وكذلك وزيرُه يشبهك أنت يا جعفرُ ، وسيَّافه يشبه مسرورًا تمام الشبهِ ! ! فمن أَين اجتمعَ له كلُّ هذا ؟ !

فأجاب جعفرٌ :

— لا . . لا يا أَميرَ المؤمنين ، إن كلامَ الناسِ خرافةٌ من الخرافاتِ التى تخترعُها عقولهم الضعيفة . وسترى بعد البحثِ أن هذا الشابَ إنسانٌ ، ولأعمالِه هذه أَسبابٌ خفية . فهيا بنا لنبحث يا مولاَى .

وتنكر الرشيدُ وجعفرٌ ومسرورٌ فى ملابس التجارِ المغاربةِ ، وخرجوا من بابِ القصرِ السرى ، وساروا إلى دجلةَ ، حيث ينتظرهم الملاحُ بزورقِه .

وركبوا الزورقَ ، وركبَ معهم الملاحُ ، ولم يسيروا فى النهرِ ، ولكن وقفوا ينتظرون حراقةَ الخليفة الثانى تحت أَغصان شجرةٍ هناكَ .

وبعد قليلٍ جاءت الحراقةُ ، تسطَعُ منها الأضواء ، وتَتَأَلَّقُ الأنوارُ .

فنظروا إليها ، واشتد عجبهم ... لأنهم رأوا الغلمانَ والملاحينَ وكلَّ شىء فيها قد تغيَّر ، حتى الكرسىّ الذهبىّ الذى كان يجلس عليه الخليفة فى الليلةِ السابقةِ قد تغيَّر ، وحل محلَّه كرسىٌّ آخرُ مزينٌ بالجواهرِ واليواقيتِ .

ولم يبقَ فى الحراقةِ شىء كما كان إلا الخليفةُ ووزيرُه وسيَّافُه .

فلما رأى الرشيدُ ذلك التفت إلى جعفرٍ ، وقال له :

— هل رأيتَ يا جعفرُ ...؟! هل تصدقُ أَنَّ هذا واحدٌ من الناس ؟ ! وهل أستطيع أنا — وأنا أَمير المؤمنينَ ، وخليفةُ المسلمينَ فى جميع البلاد — أن أصنع مثلَ ما يصنعُ هذا الشابُّ ؟ !

فنظر جعفرٌ إلى الخليفةِ هارونِ الرشيدِ ، وهو ثابتٌ على رأيه وقال له :

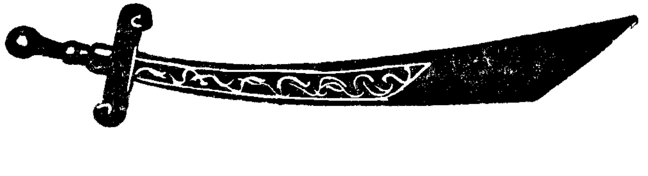
— سترى الآن يا أَميرَ المؤمنينَ أنه إنسانٌ . . .

والتفت إلى الملاح وقال له :

— اسمع يا شيخُ ، إن أنوار هذه الحراقةِ شديدةٌ ، وركابَها لا يرَوْن الذين حولهم ؛ فسر بنا فى ظلالِ الأشجارِ بحيث نرى الحراقة ، ولا يرانا ركابُها . ودس فى يده عشرةَ دنانيرَ .

فرحَ الملاحُ بالدنانير العشرةِ ، ونسى خوفَ الخليفةِ الثانى وتحذيرَه . وسار بهم بجانب الحراقة .

وكانت الجوارى تغنى فى الحراقةِ ، والغلمانُ يرقصون ، والخليفةُ الثانى يتمايلُ طرباً فوقَ كرسيِّه ، ووزيرُه يشاركه فى هذا الطربِ والسرورِ .



وسارتِ الحراقةُ فى دجلَة ، والزورقُ بجانبِها ، حتى وصلتْ إلى رصيفٍ خاص بها ، فتوقفت عن السيرِ ، ومُدَّ السلمُ بينها وبينَ الرصيفِ ، وخرج منها الخليفةُ ووزيره وسيافُه وخدمَه وغلمانُه .

وكذلك طلع الرشيدُ وجعفرٌ ومسرورٌ ، من زورقِهم وساروا بين الخدمِ والغلمان .

وقدمت للخليفةِ الثانى بغلةٌ مُسْرَجَةٌ مُلْجَمَةٌ ، بسرجٍ من الحرير المزينِ بفصوصِ الجواهِر ، ولجامٍ من الذهب الخالِص .

فركبَ الخليفةُ الثانى ، وسار وزيرُه عن يمينه ، وسيافُه عن شماله ، والغلمانُ والخدمُ بعضهم وراءه ، وبعضهم أمامَه .

وبينما هم سائرون وقع نظرُ غلامٍ على الرشيدِ وجعفرٍ ومسرورٍ ، فصاح قائلا :

— أعداء يا أَميرَ المؤمنين ! جواسيس يتجسسون .

وهجم عليهم الغلمانُ من كلّ ناحيةٍ ، وساقوهم حتى وقفوا أمام الخليفةِ .

فلما رآهم صاح فيهم بشدةٍ وقال :

— من أنتم أيها الأشقياء؟! وكيف خالفتم أَوامرى ، وخرجتم تتجسسون علىّ ؟! لابد من قطع رءوسِكم الليلةَ وستكون جُثثكم فى الصباحِ مصلوبةً فى شوارِع بغدادَ ليعتبرَ بها من يخالفُ أمرَ أَميرِ المؤمنينَ ! !

فاستعطفَه جعفرٌ وقال :

— العفوَ يا أَميرَ المؤمنين ! ! إننا تجارٌ غرباء كما ترانا ، ولا نعرف شيئاً من عادات بغـدادَ ، ولا سمعنا بأوامرِك يا مولاى . وقد رأينا موكِبَك الفخم الذى لم نرَ مثله فى البلاد فوقفنا تتفرج .

فابتسم الخليفة الثانى فى وجهِ جعفرٍ وقال لوزيرهِ :

— هؤلاء تجارٌ غرباء ، وهم ضيوفُنا الليلةَ ، فأحضرْهم إلى القصرِ معنا يا جعفرُ ، وبالغْ فى إكرامِهم وحسنِ ضيافتِهم .

* * *

دخلوا القصرَ فوجدوه أعظمَ من قصرِ الخلافةِ ، قد بنيَ بالرخامِ النادرِ ، وصنِعتْ نوافذهُ من خشبِ العودِ والساجِ والآبنوسِ المطعمِ بالسنِّ .

وزينتْ جدرانُه بنقوشِ الذهبِ ، وفصوصِ الجوهرِ ، وفرشتْ أرضهُ بأفخرِ البُسُط والسجاجيدِ ، من أرقى أنواعِ الحريرِ والديباجِ . وغرستْ فى حديقتِه أندرُ الأشجارِ والأزهارِ .

فلما رأى الرشيدُ ذلك ، همسَ فى أذنِ جعفرٍ قائلاً :

— ألا تزال مصرًّا على أن هذا إنسانٌ ؟ ! وهلْ قصرى مثل هذا القصرِ يا جعفرُ . . . ؟ !

فأجاب جعفرٌ فى ثبات وإصرارٍ :

— نعم يا مولاى ، وسترى الآنَ . . .

ومُدَّتِ الموائدُ ، وقدمتْ عليها أصنافُ الطعامِ الشهيةِ وأكوابُ الشرابِ من عصيرِ العنبِ والتفاحِ .

وجلسوا جميعًا يأكلون ويشربون ، فلما فرغوا من الأكلِ قاموا إلى الحديقةِ ، وجلسوا حولَ تختٍ مرتفعٍ ، وأقبلتْ جاريةٌ جميلةٌ مهذبةٌ ، وأخذت عودَها وجلستْ على التختِ وصارتْ تغنى . والخليفة الثانى يزيدُ طربهُ وسرورُه بغنائِها ، ويمزقُ ملابسَه التى يلبَسَها من شدةِ الطربِ .

وكان الغلمانُ من حولِه ، كلما مزَّقَ ملابسَه يُنزِلُونَ عليه الستارةَ بسرعةٍ ، ويُلبِسونَه غيرها . ويحملون هذه الملابسَ الممزقةَ هديةً إلى واحدٍ من الحاضرينَ . وكانت كل حلةٍ لا يقل ثمنها عن خمسمائةِ دينار . وتكرر منه هذا العمَل .

فنظر الرشيدُ إلى جعفر كأنه يقول له : هل أنت مُصِرٌّ على رأيِك ؟ !

وعندئذٍ وقف جعفرٌ ، وأشار إلى مسرر وهجما معًا على هذا الشابِ وقبضا عليه بقوة ، وقال له جعفرٌ وهو يشيرُ إلى الرشيد :

— بأمرِ أمير المؤمنين الرشيدِ ، أقبضُ عليك أيها الشابُّ المحتالَ الكذاب . . . وستلقى جزاءك الآن على تنكُّرِك فى صورةِ الخليفةِ الأعظمِ .

وهنا كشف الرشيدُ عن حقيقته ، فأفاقَ الشابُّ من طربِه وسروره ، وعرف أنه أمام الرشيد حقًّا .

فنزل من فوقِ كرسيه ، وارتمى تحت قَدَمَىْ الرشيدِ ، وصار يقبلهما ويقولُ :

— العفوَ والصفحَ ، يا أَميرَ المؤمنينَ . . . ما أنا إلا خادمُك وعبدُك محمدٌ الجوهرى .



بأمر أمير المؤمنين أقبض عليك . . .

فتعجَّب الرشيدُ من أمرِه ، وقال له :

ـ ماذا حَملك على هـذا العبث واللهوِ ؛ والتشبه بى وبحاشيتى ورجالِى ؟ !

فقال محمدٌ الجوهرىُّ :

ـ إن لى قصةً عجيبةً يا مولاىَ ؛ وإذا أعطيتنى الأمان ووعدتَنى بالمساعدةِ فى تحقيقِ آمالى ، حكيتُ لك قصتى ، وعرفتكَ سببَ ما أنا فيه . . .

فأجابه الرشيدُ :

ـ لك الأمانُ ، وسنساعدُك على تحقيق آمالِك إذا كانت آمالا معقولةً .



فوقف الشابُّ وقال :

— أنا يا مولاى ، نلت الليلةَ غايةَ الشرفِ ، وبلغتُ نهايةَ الأملِ . ولى سنةٌ كاملةٌ أحتالُ على تشريفِك قصرِى ؛ فشكراً لله ! وشكراً لك يا أميرَ المؤمنين . . .

أنا محمدٌ الجوهرىُّ ، ابن علىٍّ الجوهرىِّ .

وقد كان أبى أكبرَ تجارِ الجواهرِ فى بغدادَ وبلادِ المسلمين كلِّها . وترك لى ثروةً طائلةً ، لا تستطيعُ النار أن تفنيها لكثرتِها .

وكنت ذاتَ مرةٍ جالسًا فى الدكانِ بعد موتِ أبى ، أبيع وأشترى ، وأُصَرِّف أُمورى .

وإذا بفتاةٍ جميلةٍ جداً لم تر عينى مثلَها من قبلُ ، جاءت إلى الدكانِ ومعها ثلاثٌ من الجوارى ، وهى فخمةُ

المظهرِ والمنظرِ ، مؤدبةٌ مهذبةٌ . حتى إنى حسبتها فى أولِ الأمرِ بنتَك يا أميرَ المؤمنينَ .

فطلبتْ منى عقداً ثميناً من الجواهرِ النادرة ، فأخذت أعرضُ عليها كلَّ ما عندِى ، وهى لا توافق على شىء ، حتى عرضت عليها عقدًا ثمنه مائةُ ألفِ دينار . فقالت :

— هذا هو مطلوبى .

وأخذته وسارت إلى بيتها ، بعد أن عرَّفتْنى أنها « دُنْيَا » بنتُ يحيى البرمكىّ ، وأُختُ الوزيرِ جعفرٍ . ووعدتنى أن ترسلَ لى الثمن عند رجوعِها إلى البيت .

ولكنى يا مولاى بعد ذهابِها ، أخذتُ أفكر فيها ، وأتمنى أن أتزوجَها . وطال انتظارى لثمنِ العقدِ . وأخيرًا أرسلت إليها سيدةً كبيرة تقول لها :

— إن العقدَ هديةٌ لكِ من محمدٍ الجوهرىّ ، وهو يتوددُ إليك ، ويتوسلُ ويستعطفُ ، ويرجو

أن تقبليه زوجًا ؛ لتعيشى معه فى أتمّ سعادةٍ . وأكملِ سرورٍ .

فأجابتْ قائلةً :

— أما الهديةُ فمقبولةٌ ، وأما الزواجُ فبعيدٌ . وكيف تتزوج « دنيا » البرمكيةُ تاجرًا يبيعُ ويشترى ، ويحرص على كسبِ الأموالِ من الناس ، وهى لم تر أباها وإخوتها إلا مفرِّقينَ الأموالَ والجواهرَ ! !

فلما رجعتْ إلىَّ السيدةُ بهذا الجوابِ ، حزنتُ واشتدتْ آلامى ، وصرتُ أُفكر فى عِقْدِى الذى ضاعَ وفى آمالى التى خابتْ ؛ فمرضتُ واشتد مرضى .

فلجأت إلى هذه الحيلةِ ، وقلت :

— أتسلى كلَّ ليلةٍ ، وأتنكر فى ثيابِ الخليفةِ ، ولا بد أن يعلم أميرُ المؤمنين بقصتِي فى إحدى

الليالى ، وهو وحده الذى يستطيع أن ينصفَنى من دنيا وأبيها وإخوتها .

فلما سمعَ الرشيدُ هذا الكلامَ ،طابت نفسه واستراح وقال لمحمدٍ :

– إذا كان صباحُ الغدِ ، فأقبلْ إلى قصرِ الخلافةِ .



وفى الصباحِ حضر محمدٌ الجوهرىٌّ ، وأَمرَ الرشيدُ ، فأقيمت الأفراحُ ، ودُعِيَ الكبارُ والأعيانُ .

وعقَد القاضى عقدَ « دنيا » البرمكيةِ على محمدٍ الجوهرىِّ ، بعد ما أرضاها الرشيدُ بأن جعلَ محمدًا سميرَه الخاص .

وصار الرشيدُ يأخذ محمدًا كل ليلةٍ إلى ضفافِ دجلةَ مع جعفرٍ ومسرورٍ ، ويتنزهون فى حراقة الخليفةِ الثانى .



مطبعة نهضة مصر
الفجالة . القاهرة

قصص الرشيد

---

١ — الرشيد يتحدث

٢ — مَجد البرامكة

٣ — نكبة البرامكة

٤ — الأمويّ البرىء

٥ — فتح هِرَقْلَة

٦ — الجزيرة العائمة

٧ — فى جبال الماس

٨ — صانع السروج

٩ — كتاب لقمان الحكيم

١٠ — ليلة فى ضفاف دجلة

١١ — تاجر البصرة

١٢ — سجادة أبى الكاظم

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة نهضة مصر ومطبعتها
الفجالة - القاهرة

مطبعة نهضة مصر
الفجالة - القاهرة